السنة العاشرة وثلاث مئة

فيها مرض عليٌّ بن عيسى، فعَزَم المقتدرُ على عِيادته، وبعث إليه ولده هارونَ [بن المقتدر]، ومؤنساً [الخادم]، وجميعَ الخاصَّة، وأخبره مؤنسٌ [الخادم] أنَّ المقتدر عَزَم على عيادته، فانزعج، وسأل مؤنساً أن يُعفى من ذلك، ثم أصبح وركب إلى دار الخليفة على ضَعْفٍ فيه؛ خوفاً لأن يعوده المقتدر.

وفيها قبض المقتدرُ على أمِّ موسى القَهْرَمانة وأهلها وأسبابها في رمضان، واختلفُوا في السبب، فذكر ثابت بن سنان أنَّ أمَّ موسى زوَّجَت[1] ابنةَ أخيها أبي بكر محمدَ بنَ إسحاق بن المتوكِّل على الله، وكان محمد من وجوه بني هاشم [وأولاد الخلفاء، وكانت له نعمة، وكان] حسنَ المروءة، كثيرَ النِّعمةِ والغلمان والمواكب، وكان يُرشَّح للخلافة، [فلما وقعت المصاهرةُ بين أمِّ موسى وبينه مُكِّنَ] أعداؤها من السَّعْي عليها، وكانت [قد] أسرفَت في نَثْر المال على صهرها، وبلغ المقتدر أنَّها تريد أنْ تسعى له في الخلافة، فكاشفَتها السيدةُ أمُّ المقتدر وقالت: قد دبَّرْتِ على الخليفة، وصاهَرْتِ ابنَ المتوكل حتى تُقْعِديه في الخلافة، وجَمعْتِ له الأموال؟!

وسلَّمَتها وأخاها وأختَها إلى ثَمَل القَهْرَمانة، وكانت ثَمَل موصوفةً بالشرِّ، قاسيةَ القلب، تُعاقب بأشدِّ العقوبات، فبسطَت على أمِّ موسى وأهلها العذابَ، فاستخرجت منهم أموالاً عظيمةً وجواهرَ نفيسة، ومن الطيب والثياب والفُرُش والكسوة ما يَعظُم مِقدارُه، فيقال: إنَّه حصل من جهتهم ما مقدارُه ألفُ ألفِ دينار.

[وهذا قول ثابت بن سنان وأما غيره فقال:] إنَّ المقتدر اعتَلَّ، فبعثَت أمُّ موسى إلى بعض أهله ليقرِّرَ له الأمرَ، فكان ذلك سببَ القبض عليها، والأول أصحّ[2].

وفي هذه السنة صرف المقتدرُ [أبا جعفر] أحمد بنَ إسحاق بن البُهْلُول عن القضاء

---

(١) في (خ): وأسبابها في رمضان وسببه أنها زوجت، والمثبت من (ف م١)، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٠٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٦، والأوراق للصولي ١٢٨، وتكملة الطبري ٢٢٧، وصلة الطبري ٩٥، والكامل ٨/ ١٣٧.

(٢) مابين معكوفين من (ف م١) ولن أشير إليه دائماً.

بمدينة السلام، واستقضى [أبا الحسين] عمر بن الحسن الشَّيْباني، المعروف بابن الأُشْناني، فجلس يوم السبت للحكم لسبعٍ بقين من ربيع الآخر، وصرف يوم الأحد، ولم يُرَ قاضياً ولي يوم الخميس وصرف يوم الأحد غيره، أقام ثلاثة أيام بعد أن خلع عليه المقتدر(١).

[قال الخطيب:] وكان من جِلَّة الناس، ومن أصحاب الحديث، والحُفَّاظ المُجَوِّدين، وكان قد وَلي القضاء بالشام، والحِسْبَةَ ببغداد(٢). وسنذكره في سنة ثمان عشرة وثلاث مئة إن شاء الله تعالى.

وفي النصف من رمضان استقضى المقتدر عمرَ بنَ محمد بن يوسف بن يعقوب، وكان قبل ذلك يَخْلُفُ أباه على القضاء بالشرقية، ثم ولي قضاءَ مدينة أبي جعفر في حياة أبيه.

وفيها قلَّد المقتدرُ نازوك الشرطةَ بمدينة السلام مكانَ محمد بن عبد الله بن طاهر(٣).

وفيها بعث الحسين بن أحمد الماذرائي من مصر إلى المقتدر هدايا، وفيها بغلةٌ معها فلُوٌّ يتبعُها ويَرضَعُ منها، وغلامٌ طويل اللسان يضربُ لسانُه طرفَ أنفه.

وفي يوم الفطر ركب الأميرُ أبو العباس بن المقتدر إلى المصلَّى، ومعه حامد بن العباس، وعلي بن عيسى، ومؤنس المُظَفَّر، وصلى بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي(٤)، و[كان] إسحاق [قد] حج بالناس [في هذه السنة] أيضاً.

وفيها توفي

بدرٌ الحَمَاميّ الكبير

أبو النَّجم، المُعْتَضِديّ(٥).

---

(١) في (خ): المعروف بابن الأشناني، فجلس ثلاثة أيام، ثم صرف بعد أن خلع عليه المقتدر، والمثبت من (ف م١).

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٩٢، وعنه المنتظم ١٣/ ٢١٠-٢١١.

(٣) في تكملة الطبري ٢٢٦، والمنتظم ١٣/ ٢١٠: مكان أبي طاهر محمد بن عبد الصمد. وهذا الخبر والذي قبله ليسا في (ف م ١)

(٤) من قوله: وفي يوم الفطر...إلى هنا، ليس في (ف م ١)

(٥) ذكر مترجموه وفاته في سنة (٣١١هـ)، انظر تكملة الطبري ٢٢٨، وتاريخ بغداد ٧/ ٦٠٢، والمنتظم ١٣/ ٢٢٨، والكامل ٧/ ١٤٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٤، ومختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٧٣. وأشار المؤلف إلى وفاته في سنة (٣١١هـ) نقلاً عن ثابت بن سنان آخر ترجمته.

كان في بدايته مع أحمد بن طولون بمصر، فولّاه الأعمالَ الجليلة، ومات أحمد، فأقام عند ابنه خُمارَويه، ولمَّا حاصر القِرْمِطيُّ دمشق في خلافة المكتفي، كان بها طُغْج [بن جُفّ الفَرْغاني] من قِبَل ابن طولون، جهَّز ابنُ خمارويه بدراً [الحَمامي] في العساكر إلى دمشق مَدَداً لطُغْج [بن جُفّ]، فلقي بدرٌ القرمطيَّ على كُناكِر من حَوران فقتله، ثم انصرف بدرٌ راجعاً إلى مصر، فرُدَّ من الطريق والياً على دمشق من قبل هارون ابن خُمارويه، فقدمها في سنة تسعين ومئتين، فلما قتل هارون بن خمارويه قدم العراق ـ وقد ذكرناه ـ وقدم أصبهانَ[1] سنةَ ثلاث وثمانين ومئتين لإخراج عمرَ بن عبد العزيز، وقدمها والياً عليها سنةَ خمسٍ وتسعين، فتولّاها إلى سنة ثلاث مئة.

وكان عادلاً، حسنَ السيرة، مُحبًّا للعلم وأهله، ومنعَ الجندَ أنْ ينزلوا دورَ الناس بأصبهان، وكان يُقرِّب العلماء، ويرفَعُ منهم[2].

ولما قدم من الشام إلى بغداد ولّاه السلطان فارسَ، فأقام بها إلى أنْ مات.

[قال أبو نعيم:] وكان صالحاً مُستجابَ الدعوة، وطالَت أيامُه فتمهَّدَت به البلاد، ويقال: إنَّه مات بشِيراز، وحُمِل إلى بغداد.

ووقع يوماً من فرسه، فقال المُعوَّج الأنطاكي: [من البسيط]

لا ذَنْبَ لِلطِّرْفِ إنْ زَلَّت قوائمُه ... وليس يَلحقُهُ من عائبٍ دَنَسُ
حَملتَ بأساً وجوداً فوقَه وندًى ... وليس يَقوى على ذا كلِّه الفَرَسُ

أسند الحديث عن هلال بن العلاء الرَّقِّي وغيره، وروى عنه ابنُه محمد بن بدر الأصبهاني[3].

ولمَّا مات ولَّى المقتدرُ ابنَه محمداً مكانَه.

[وقال ثابت بن سنان:] مات سنة إحدى عشرةَ وثلاثَ مئة في صفر، [وكان على فارس وكَرْمان،] ودُفن بشيراز، ثم نُبِش وحُمل في تابوت إلى دار السلام.

---

(١) في (خ): والياً على دمشق من قبل هارون بن خمارويه، ثم قدم العراق وقدم أصبهان، والمثبت من (ف م ١)

(٢) في (ف م ١): ويرفع منزلتهم.

(٣) من قوله: ووقع يوماً من فرسه ... إلى هنا؛ ليس في (ف م ١).

محمد بن جَرير

ابن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر، الطَّبَريّ، صاحبُ التاريخ وغيره[١].

وُلد في آخر سنة أربع وأوَّل سنة خمس وعشرين ومئتَين، وكان أسمرَ، مَديدَ القامة، أعينَ، مُلتَفَّ الجسمِ، فصيحَ اللسان، حسنَ الوجه.

ولد بآمُل[٢]، ثم نزل بغداد فاستوطنها، وأقام بها، وهو أحدُ أئمة العلم، يُحكَم بقوله، ويُرجَع إلى رأيه لفضله ومعرفته.

وكان قد جمَعَ من العلوم ما لم يُشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره.

وكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بمعانيه، عالماً بالسُّنَن وطُرقها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بالفقه وأقوالِ الصحابة والتَّابعين، عالماً بالأحكام والحلال والحرام، وأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في التاريخ، وله كتاب التفسير لم يُصنَّف مثلُه، وكتاب «تهذيبُ الآثار» لم يُتَمِّمْه، وكتاب «أصول الفقه وفروعه»، وغيرُ ذلك، وتفرَّد بمسائلَ حُفِظَت عنه.

وأقام أربعينَ سنةً يكتبُ كلَّ يوم أربعينَ ورقةً.

وقال يوماً لأصحابه: أتَنْشَطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم مقدارُه؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا شيءٌ تفنى الأعمارُ قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثةِ آلافِ ورقة، ثم قال: أتَنْشَطون لتاريخ العالَم من آدمَ إلى وقتنا؟ قالوا: وكم مقدارُه؟ فذكر نحواً مما ذَكَر في التفسير، فأجابوا بمثل ذلك، فقال: إنا لله، ماتَت الهِمَمُ. ثم اختصره في نحو ما اختصر به التفسير.

وأثنى عليه ابنُ عساكر وقال: صفّف[٣] بضاعةً فسُرِقت، فاحتاج، وأفضى به الحال

---

(١) ترجمة الطبري ليست في (ف م ١)، وانظرها في: تاريخ بغداد ٢/ ٥٤٨، وتاريخ دمشق ٦١/ ١٩٣، والمنتظم ١٣/ ٢١٥، والكامل ٨/ ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ١٦١، وفي حواشيها مصادر أخرى.

(٢) في (خ): بآمد، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٨، ١٩٩.

(٣) كذا في (خ)، وفي تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٨: وكانت معه بضاعة.

حتى باع كُمَّي قميصِه، فقال له بعض أصدقائه: أتَنْشَطُ لتأديب بعضِ ولد الوزير أبي الحسن عُبيد الله بنِ يحيى بن خاقان؟ قال: نعم.

فمضى الرجل، وأحكم أمْرَه، وعاد إليه، فأوصلَه إلى الوزير بعد أنْ أعارَه ما يَلبَسُه، فلما رآه عُبيد الله قرَّبه، ورفع مجلسَه، وأجرَى عليه في كلِّ شهرٍ عشرةَ دنانير، فلما جلس الولدُ بين يديه كتَّبه في اللوح، فكتب من ساعته، فأخذ الخادمُ اللوحَ ودخل مُستبشراً، فلم تَبْقَ جاريةٌ إلا وأهدَت له صينيَّةً فيها دنانير ودراهم، فردَّ الجميعَ وقال: قد شُورِطْتُ على شيءٍ، فما آخُذُ غيرَه.

وبلَغَ الوزيرَ، فأحضره وعاتَبه على ردِّه، فقال: هؤلاء عبيدٌ، والعبيدُ لا يَملكون، والشَّرطُ أملَكُ. فعَظُم في عينه.

وقال ابن عساكر: عزم المكتفي على أنْ يُوقِفَ وقفاً يجمع أقاويلَ العلماء[1]، فجمعهم وفيهم ابنُ جرير، فكتب كتاب الوقف، وسَلِمَ من الخلاف على ما أراد المكتفي، فأعجبه، فأرسَلَ إليه بجائزة فردَّها، فقال له صافي الحرمي: أنتَ عند ستر أمير المؤمنين، وهو يسمعُك، ومَن وصل إلى هاهنا لم يخرج إلا بجائزة أو حاجة مَقضيَّة، فقال له: أما الجائزةُ فلا أقبلها، وأما الحاجةُ فأسألُ أنْ يَتقدَّمَ إلى صاحب الشُّرطة بمنع السُّؤَّال يوم الجمعة من دخول المقصورة التي في الجامع حتى تنقضيَ الجمعةُ، فتقدَّم الخليفةُ بذلك، وعَظُم في نفوسهم.

وكان ابن جرير يميلُ إلى مذهب الظاهرية، واختارَ له مذهباً، وكان يمسَحُ على قدمَيه ولا يغسلهما عملاً بظاهر الآية، فنُسِبَ إلى الرَّفْض.

وقال محمد بن إسحاق بن خُزَيمة: التمس العباسُ بنُ الحسنِ ابنَ جرير أن يُؤلِّفَ له كتاباً في الفقه، فألَّفه وبعَثَ به إليه، فأرسل إليه العباسُ ألفَ دينار، فردَّها وقال: معاذَ الله أنْ آخُذَ على العلم أجراً.

وقال الفَرْغانيّ: كان الطبري قد وقَفَ على علم الشافعيِّ، ثم أدَّاه اجتهادُه ودينُه ونُصحه للمسلمين بأن اختارَ لنفسه قولاً لم يجد فيه نصًّا[2].

---

(١) كذا في (خ)، وفي تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٩ : أريد أن أوقف وقفاً تجتمع أقاويل العلماء على صحته.

(٢) أي: لم يجد فيه نصاً عند عالم يجب التسليم له بعلمه. انظر تاريخ دمشق ٦١/ ٢٠٥ .

ومن شعره: [من الوافر]

إذا أعْسَرْتُ لم يعلمْ رفيقي ... وأستَغني فيَستغني صديقي
حَيائي حافظٌ لي ماءَ وَجهي ... ورِفْقي في مُطالبتي رفيقي
ولو أنِّي سمَحْتُ ببَذْل وَجْهي ... لكنتُ إلى الغِنى سهلَ الطريقِ

وقال أيضاً: [من الكامل]

خُلُقانِ لا أرضَى طريقَهما ... بَطَرُ الغِنى ومَذلَّةُ الفقرِ
فإذا غَنِيْتَ فلا تكن بَطِراً ... وإذا افْتَقرْتَ فَتِهْ على الدَّهرِ

ذكر وفاته:

لما كان يوم الاثنين وقتَ الظهر طلبَ ماءً ليُجدِّدَ الوضوءَ، فقيل له: أخِّر الظهرَ لتجمع بينها وبين العصر، فأبى، وصلَّى الظهرَ في وقتها، والعصرَ في وقتها، وقيل: كان ذلك يوم الأحد ليومين بقيا من شوال، فتوفِّي عَشيَّةَ الأحد، ودُفِنَ في داره برَحْبة يعقوب بباب خراسان، ولم يُؤذَن به أحدٌ، فلمَّا علم الناسُ اجتمع خَلْقٌ عظيم، وصلَّوا على قبره شهراً ليلاً ونهاراً.

وقال أبو الفرج رحمه الله في «المنتظم»: كان أبو بكر بن أبي داود قد كتب في حقِّه ورقةً إلى نصر الحاجب شنَّع عليه بأشياءَ، منها: أنَّه يرى رأيَ جَهْمٍ، وأنَّه تَأَوَّلَ قولَه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] أي: نعمتاه، ومنها ما روى ابنُ جرير أنَّ روحَ النبيِّ ﷺ لمَّا خرجَت سالَتْ في كفِّ علي بن أبي طالب فحَساها، قال: وإنَّما الحديثُ فمَسَح بها وجهَه[1].

وقد رثى الطبريَّ أبو بكر بن الحسن بن دريد فقال: [من البسيط]

لن تستطيعَ لأمر الله تعقيبا ... فاستَنْجدِ الصَّبرَ أو فاستشعرِ الحُوْبا
وافزعْ إلى كَنَفِ التَّسليمِ وارْضَ بما ... قضى المُهيمنُ مَكروهاً ومَحبوبا
إن العَزاء إذا عزَّته جائحةٌ ... ذَلَّت عَريكتُه فانْقاد مَجنوبا
فإنْ قَرنْتَ إليه العَزْمَ أيَّده ... حتى يعودَ إليه الحُزْنُ مَغلوبا

(١) المنتظم ١٣/ ٢١٧.

أودى أبو جَعفرٍ والعلم فاصطحبا أعظِمْ بذا صاحباً أو ذاك مَصحوبا

ومنها:

أهوى الرَّدى للثَّرى إذ نالَ مُهجَتَه نجماً على مَن يُعادي الحقَّ مَصْبوبا[1]

إنَّ المنيَّةَ لم تُتْلِف به رجلاً بل أتْلَفَتْ عَلَماً للدين مَنصوبا

كان الزمانُ به تَصفو مشاربُه فالآن أصبح بالتَّكدير مَقْطوبا

ودَّت بِقاعُ بلادِ الله لو جُعلَت قبراً له فحَباها جسمُه طِيْبا

دامت حياتُك للدُّنيا وساكِنها نوراً فأصبح عنها النُّورُ مَحجوبا

لو تعلمُ الأرضُ مَن وارَت لقد خشَعَت أقطارُها لك إجلالاً وتَرْحيبا

وقال الخطيب: عاش خمساً وثمانينَ سنةً، وكان السَّوادُ في رأسه ولحيته أكثرَ من البياض، وما غيَّر شيبَه قطُّ[2]، وسمع خلقاً كثيراً، منهم: محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب، وأحمد بن مَنيع البَغَويّ، ويعقوب الدَّوْرَقيّ وغيرهم، وروى عنه أحمد بن كامل، وسليمان بن الأتم الطَّراري[3]، وأبو محمد الفَرْغاني وغيرهم.

ورثاه أبو سعيد بن الأعرابي فقال: [من الخفيف]

حَدَثٌ مُفْظِعٌ وخَطْبٌ جَليلُ دقَّ عن مثله اصطبارُ الصَّبورِ

قام ناعي العلومِ أجْمَع لمَّا قام ناعي محمد بنِ جريرِ

فهَوَتْ أنجمٌ لها زَاهِرات مُؤذِناتٌ رُسومُها بالدُّثور

يا أبا جعفرٍ مضَيْتَ حَميداً غيرَ وانٍ في الجدِّ والتَّشْميرِ

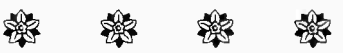

(١) في (خ): منصوبا، والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ٥٥٥ ، وتاريخ دمشق ٦١/ ٢١٢ ، والسير ١٤/ ٢٨١ .

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٥٣٣-٥٣٤ .

(٣) كذا في (خ)، ولعلها تحريف عن سليمان بن أحمد الطبراني، انظر تاريخ دمشق ٦١/ ١٩٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ١٦١ .